

المحاضرة السابعة والعشرون

بينييه ونشأة اختبارات الذكاء :

كان الفرد بينيه عالماً فرنسياً فذاً، بدأ تدريبه في ميدان الطب، ثم أصبح من أشهر علماء النفس في عصره، وقد بدأ عالماً تجريبياً، واهتم بدراسة العمليات العقلية المعرفية، ثم كرس هو ومعاونوه جهودهم سنوات طويلة، للبحث في طرق قياس الذكاء . وقد بذل محاولات عديدة بما فيها قياس الخصائص الحسية وتحليل خط اليد، ولكن نتائج بحوثه أقتعته بأن أفضل السبل هو قياس الوظائف العقلية العليا . وقد نشأ اهتمامه بالقياس العقلي أثناء عمله مع الأطفال في مدارس باريس، إذ لاحظ الفروق الكبيرة بين الأطفال في القدرة على التعلم، وكان مقتنعاً بأنه يمكن إعداد اختبارات بسيطة لقياس هذه الفروق .

وفي عام ١٩٠٤ شكلت وزارة المعارف الفرنسية لجنة لدراسة طرق تربية الأطفال المتخلفين دراسياً بمدارس باريس، وكلف بينيه بالتعاون مع الطبيب الفرنسي سيمون بدراسة الطرق، التي يمكن أن تستخدم في تصنيف الأطفال الذين يتميزون ببطء في التعلم . وكان نتيجة لذلك ظهور أول مقياس للذكاء، وهو ما عرف باسم مقياس بينيه - سيمون ، عام ١٩٠٥ . وبذلك كان ظهور أو مقياس للذكاء نتيجة لحاجة عملية بحتة .

وفي عام ١٩٠٨ ظهرت صورة أخرى معدلة من مقياس بينيه سيمون، زيد فيها عدد الاختبارات، وتم حذف بعض الاختبارات التي كانت موجودة في المقياس الأول، والتي لم تثبت صلاحيتها، وقسمت الاختبارات إلى مستويات عمرية متدرجة . ثم ظهر تعديل آخر للمقياس عام ١٩١١ قام به بينيه ونشره باسمه منفرداً، وأضاف إليه اختبارات جديدة وأجرى عليه بعض التعديلات.

وقد أدى ظهور هذا المقياس إلى جذب علماء النفس في العالم، فظهرت له ترجمات وتعديلات بلغات مختلفة، لعل أشهرها تعديل تيرمان الذي عرف باسم ستانفورد - بينيه ، والذي ظهر عام ١٩١٦ .

الاختبارات الجمعية :

إلا أن اختبار بينيه وتعديلاته كلها مقاييس فردية، بمعنى لا يمكن تطبيقها بواسطة فاحص واحد إلا على فرد واحد في نفس الوقت . فكثير من الأسئلة التي يتضمنها تتطلب إجابات شفهية أو معالجة يدوية لبعض الأشياء، ومن ثم فإن هذه الاختبارات لا تصلح للتطبيق على الجماعات. ومن هنا ظهرت اختبارات الذكاء الجمعية التي يمكن تطبيقها بواسطة فاحص واحد على مجموعة من الأفراد في نفس الوقت، وكان ظهورها شأنها في ذلك شأن اختبار بينيه الأول - نتيجة لحاجة عملية . ففي الحرب العالمية الأولى ظهرت الحاجة إلى إعداد اختبارات يمكن استخدامها في تصنيف المجندين وتوزيعهم على أفرع القوات المسلحة الأمريكية، وفقاً لمستوياتهم العقلية . ولهذا عكف مجموعة من علماء النفس على وضع اختبار جمعي للذكاء وظهر نتيجة لذلك أو اختبارين جمعيين للذكاء : اختبار ألفا واختبار بيتا عام ١٩١٧ . وقد أعد اختبار ألفا لقياس ذكاء المواطنين الأمريكيين الذين يكتبون ويقرأون باللغة الإنجليزية، أما اختبار بيتا، فقد أعد لغير الناطقين باللغة الإنجليزية والأميين. وبعد نشر هذه الاختبارات نشطت حركة القياس العقلي، وأعدت اختبارات جمعية كثيرة .

إلا أن الحاجة العملية دفعت أيضاً إلى ظهور نوع آخر من الاختبارات العقلية، وهي اختبارات الاستعدادات لاستخدامها في عمليات انتقاء وتوجيه العمال الصناعيين . وقد ساعد ذلك النشاط الواضح في البحث الإحصائي، وتطور أساليبه، وظهور طرق التحليل العاملي. فقد ساعدت هذه العوامل على نشأة بطاريات اختبارات الاستعدادات المختلفة، وأخذت حركة القياس العقلي في النمو السريع في مختلف أنحاء العالم .

خصائص القياس :

يعرف القياس بأنه عبارة عن إعطاء تقدير كمي لشيء معين، عن طريق مقارنته بوحدة معيارية متفق عليها، أو بأنه العملية التي يمكن أن نصف بها شيئاً وصفاً كمياً في ضوء قواعد متفق عليها.

والقياس العقلي يقوم على قياس الأداء أو النشاط المعرفي للفرد، ويعتمد في ذلك على الفروق بين الأفراد في مستويات نشاطهم المعرفي. فإذا أردنا قياس القدرة الرياضية عند فرد من الأفراد، فإننا نقوم بتحديد هذه الصفة تحديداً دقيقاً، ثم نضع وسيلة المقارنة بين هذا الفرد وبين زملائه في العمر والبيئة وغيرها، عن طريق التقدير الرقمي لتوافر هذه الصفة في أدائه، بالمقارنة بأقرانه .